أثر المكان الروائي في الرواية المغربية (السجن نموذجاً)

إعداد الباحثة

أحلام بنت عبيد المطيري

معيدة بكلية الآداب ـ جامعة الملك سعود ـ الرياض
المملكة العربية السعودية

المجلد السادس والعشرون للعام ٢٠٢٢م
الجزء الثالث (إصدار يونيو)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

أثر المكان الروائي في الرواية المغربية (السجن نموذجاً)

أحلام بنت عبيد المطيري

قسم اللغة العربية ـ كلية الآداب ـ جامعة الملك سعود ـ الرياض ـ المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني : Al_ahlam@windowslive.com

الملخص

تسعى الدراسة إلى الكشف عن الآثار التي يتركها المكان السجني في جوانب الشخصية، التي تفسرها العلاقة التأثيرية بينهما من خلال جانبي: الجانب النفسي حيث تناول الفصل مجموعة من الآثار النفسية التي يتركها المكان/ السجن في ساكنه تتمثل في صدمة الاعتقال والزج به في السجن، وافتقاد عالم الحرية، والشعور بالمراقبة، وافتقاد الشعور بالخصوصية، وتناول الجانب الجسدي الأثر المباشر وغير المباشر من خلال سطوة السجن على ساكنه المجبر. ولتحقيق ذلك الهدف تقف الدراسة على أربع روايات، ترسم صورة واقعية عن السجون المغربية وهي: (سبعة أبواب) لـــ (عبد الكريم غلاب)، و(كان وأخواتها) لـــ(عبد القادر الشاوي)، و(حديث العتمة) لـــ (فاطنة البيه)، و(سيرة رماد) لـــ (خديجة مروازي).

الكلمات المفتاحية : السجن، الرواية المغربية، المكان، الجسدي، النفسي، السجين.

الترقيم الدولي الإلكتروني
ISSN 2636 - 316X

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

The impact of the novelist's place in the Moroccan novel (Prison model)

Ahlam Bint Obaid Al-Mutairi

Department of Arabic Language, College of Arts, King Saud University, Riyadh, Saudi Arabia .

Email: Al_ahlam@windowslive.com

Abstract

The study seeks to reveal the effects that the prison place leaves on the aspects of personality, which are explained by the influence relationship between them through two sides: the psychological aspect, where the chapter dealt with a group of psychological effects that the place/prison leaves in its occupants, represented in the shock of arrest and imprisonment, and the lack of a world Freedom, the feeling of being watched, the lack of a sense of privacy, and the handling of the bodily side have the direct and indirect impact through the prison's grip on its forced occupant. To achieve this goal, the study is based on four novels, which paint a realistic picture of Moroccan prisons: (Seven Doors) by (Abdul Karim Ghallab), (Kan and Her Sisters) by (Abdul Qadir Al-Shawi), and (Hadith Al-Atma) by (Fatna Al-Bayh). And (Biography of Ashes) by (Khadija Marwazi).

Keywords: Prison, Moroccan novel, place, physical, psychological, prisoner.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بدأت الرواية المغربية تبحث عن طريق لها على خارطة الإبداع منتصف الستينيات (أي بعد استقلال المغرب)، فظهرت كتابات روائية تحكي التجربة السجنية، فجاءت رواياتهم توثيقًا لتلك التجربة السجنية، وتصويرًا للعذابات النفسية والجسدية، وتعبيرًا عن معاني القهر والاستبداد، فأول نص روائي مغربي جسّد تجربة السجن صدر عام (١٩٦٥م) بعنوان: (سبعة أبواب) لعبد الكريم غلاب[١]. ويحكي هذا النص واقع التجربة في السجون المغربية، وما يعانيه السجين من العزلة والقهر والوحدة.

وجاءت الكتابة عن هذه التجربة السجنية، مرتبطة بمرحلة دقيقة من تاريخ المغرب، وهي مرحلة الاعتقالات ضد الوطنيين، التي شكلّت بداية جديدة لنوع آخر من الرواية، تشير إلى تصوير الواقع السياسي، والاجتماعي، والثقافي. فجاءت الكتابة تصويرًا لواقع السجن من خلال تجربة متخيلة. ونظرًا لما يتركه من آثار سلبية في نفوس الأدباء والكّتاب، فقد شغلوا بهذا الموضوع، وأولوه المزيد من عنايتهم ليحتل مكانة مميزة على خارطة الإبداع الروائي بوصفه مكانًا روائيًا له جمالية فنية مميزة.

وقد حاول الروائيون من خلال هذه التجربة، وصف ألوان التعذيب والحرمان والتجريد من الإنسانية، فنسجوا منها متنًا روائيًا ممتعًا ومزعجًا في الآن ذاته، يحمل وظيفة دلالية تكمن في كونه مكانًا للإقامة الجبرية لقضاء مدة العقوبة، بالإضافة لعزل السجين عن العالم الخارجي وتقييد حريته[٢].

---

(١) انظر: حميد لحميداني، الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي، دار الثقافة، الدار البيضاء – المغرب، ط١-١٩٨٥م، ص١٣١.

(٢) انظر: حسن بحراوي، مرجع سابق، ص٥٥.

وبهذا يصبح السجن فضاء روائيًا خصبًا، لرصد عالم السجن وكل ما يحيط به، وما يتركه من آثار نفسية وجسدية وفكرية. والكشف عن دلالاته المتعددة غير المألوفة، وعن أبعاده، وثقافته، وتأثيره في العناصر الأخرى كـ (الشخصيات والزمن واللغة).

فالدراسة تتناول فضاء السجن في الرواية المغربية، بوصفه متنًا روائيًا يرتبط مع الشخصية الروائية بعلاقة جدلية قائمة على مبدأ التفاعل والتأثير، هذه العلاقة تفرض مجموعة من التأثيرات السلبية والإيجابية على السجين . ولتحقيق هذا الهدف تقف الدراسة على خمس روايات سياسية، ترسم صورة واقعية للسجون المغربية، وتوظفه بوصفه عنصرًا متحكمًا في بقية العناصر التي ينهض عليها بناء الرواية، وهذه الروايات أما لكتّاب عاشوا التجربة مثل:

(سبعة أبواب) لـ (عبد الكريم غلاب)[١]، و(كان وأخواتها) لـ(عبد القادر الشاوي)[٢]، و(حديث العتمة) لـ (فاطنة البيه)[٣]، أو ناتجة عن معايشة السجناء مثل: (سيرة رماد) لـ (خديجة مروازي)[٤].

فيظهر السجن فيها بوصفه المكان الوحيد والمهيمن، ويعبر الروائي المغربي كغيره عن فكرة السجن، بوصفه مكانًا معاديًا للأمكنة الاختيارية الخارجية، فتبدو هذه الفكرة مميزة ولافتة في خطابه الروائي. ففي رواية (سيرة رماد) كان السجن بوصفه المكان الروائي الذي تدور فيه أحداث

(١) انظر: عبد الكريم غلاب، سبعة أبواب، الدار العربية للكتب، ١٩٨٤م.
(٢) انظر: عبد القادر الشاوي، كان وأخواتها، الفينيك، الدار البيضاء، د.ط-٢٠١٠م.
(٣) انظر: فاطنة البيه، حديث العتمة، الفينيك، الدار البيضاء – المغرب، د.ت.
(٤) انظر: خديجة مروازي، سيرة الرماد، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، د.ط-٢٠٠٠م.

الرواية، فجاءت أحداث الرواية في قسمين، تدور أحداث القسم الأول بعنوان: (صباح الخير الغربية) يروى فيها عن السجين (مولين) تجربته السجنية، ويرصد فيها فضاء السجن، وما يحمله من صنوف العنف والتعذيب والإذلال من أجل أخذ الاعترافات. بالإضافة لرصد الحياة اليومية داخله، وإظهار جوانب الضعف والقوة لدى السجين في مقاومته لسطوة المكان وعذاباته.

كما ترصد في قسمها الثاني سجن (ليلى) تحت عنوان: (مساء الخير جروحي) في أحد المخافر وصنوف عذابها فيها؛ لأنها سربت معلومات تخص أحد السجناء، ورصدت أسباب سجن بعض النساء آنذاك.

أما في رواية (أخاديد الأسوار) فيفسح النص الروائي عن الآثار التي تركها السجن في السجين وعائلته، فتسرد الرواية تجربة الخارج من السجن، وتصور يوميات زوجة سجين نفى نفسه من أجل نسيان تلك التجربة والتخلص من سطوة المكان/ السجن، فتحدثت عن معاناتهم، هي وأبناؤها وأصدقاؤه ممن عاشوا معه تلك التجربة.

وفي رواية (كان وأخواتها) جاء فيها الحديث عن التجربة السجنية، وما حملته من صنوف العذاب والعزلة، حيث تفنن المحققون في تعذيبهم وإذلالهم من أجل الاعتراف، وفي المقابل مقاومة السجين لكل هذا بالإضراب والصمت.

فظهر السجن في هذه الرواية بوصفه فضاء منغلقًا يحمل العديد من الدلالات التي تجعله مكانًا معاديًا مقيدًا، إذ يهرب السجين من قيوده بالذكريات والمواقف التي عاشها في زمن سابق لزمن السجن.

أما رواية (حديث العتمة)، فإنها تفسح المجال أمام مجموعة من التجارب السجنية للمسجونات اللواتي عشن صنوف الاعتقال والتحقيق وألوان العذاب. كما تصور السجن بوصفه فضاءً مغلقًا غير قابل للاختراق، يترك أثره في السجين وعلى حياته اليومية داخله.

وتصور رواية (سبعة أبواب) صورة الاعتقال التقليدي، وحوارات التحقق التي اتسمت بالمرونة، وإن كان فيها شيء من التهديد. كما تصور فضاءات السجن وتأثيرها في حياة السجين. فالسجن على الرغم من محدوديته وانغلاقه يظهر في الرواية بوصفه فضاء للتعارف واللقاءات بين رفاق النضال.

أثر المكان/ السجن

يرتبط المكان الروائي بالعناصر السردية الأخرى، فتتقاطع عنده تلك العناصر وتتشابك لإرساء قواعد العمل الروائي، كما بينت الدراسة في الفصل الأول، فالمكان لا يتشكل بمعزل عن تلك العناصر، إذ إنه ليس إطارًا يجري فيه الحدث فقط، بل هو مكون روائي يتفاعل مع الشخصية والزمن والحدث واللغة ويؤثر فيها ويتأثر بها ليسهم في نسيج الرواية، فكل قصة كما يقول يقطين: " تتحقق من خلال العناصر السردية التالية: الحدث، والشخصية، والمكان، والزمن"(١)

والمكان يتحول إلى عنصر حيوي فعال مع العناصر الأخرى ليرتبط معها في شبكة من العلاقات، قائمة على مبدأ التكامل والتلازم بين تلك العناصر المكونة للرواية، فالرواية لا ينهض بناؤها إلا على اندماج العناصر وتفاعلها مع بعضها بعضا؛ لأن الكاتب لا يفكر في الزمن، وهو يكتب بمعزل عن الحيز، ولا في الحيز منعزلا عن الزمن، ولا في بناء الشخصية ورسم ملامحها بمعزل عن الحدث الذي تضطلع بإنجازه، ولا عن اللغة التي تتحدث، أو يتحدث بها عنها، أو يتحدث بها إليها، ولا عن الزمن الذي يحتويها، ولا عن الحيز. فتوزيع هذه العناصر وتجزئتها لا يعدوأن أن يكون ضربًا لبناء العمل الروائي، وبالتالي ففقدان أي عنصر من تلك العناصر في أي نص روائي يؤدي إلى خلل فني في ذلك العمل.

---

(١) سعيد يقطين، الراوي (البنيات الحكائية في السيرة الشعبية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١-١٩٩٧م، ص١٩.

فالمكان لا يكون بمعزل عن العناصر السردية، إذ يتأثر بها ويؤثر فيها، ولاسيما الشخصية، على اعتبار أن الإنسان هو العنصر الملازم للمكان على الدوام، وبالتالي فالمكان لا يكون مكاناً إلا إذا أثر في ساكنيه ويتأثر بهم من خلال مبدأ التفاعل بينهما، فالمكان يؤثر في الشخصية ويحفزها للقيام بردود أفعالها تجاه المؤثرات والمتغيرات التي تطرأ عليه، ومن هنا يكون الحدث، كما أن الشخصية الروائية تحول المكان الروائي إلى عنصر حيوي تفاعلي يترك أثره في كافة الجوانب النفسية والاجتماعية والجسدية لساكنيه، كذلك فإن ساكنه يتركه أثره فيه.

هذا التأثير والتأثر للمكان أعطاه مبدأ التجديد والتغيير المستمر وفقا للعلاقة الجدلية بينه وبين الشخصية والقائمة على مبدأ التفاعل والتأثير مع ساكنيه [١]، فهذه العلاقة لا تسير بشكل مستقيم طول العمل الروائي، بل هي تسير وفقًا لمبدأ التأثير والتأثر بين المكان والشخصية، وبالتالي تظهر صورة المكان بالنسبة للشخصية من جانبين: جانب الألفة والمحبة، أو جانب التنافر والتباعد على اعتبار أن المكان لا يأخذ صورته ودلالته الكاملة بجميع مكوناته إلا من خلال نظرة ساكنه له، فهو وحده القادر على إبراز مقدار الانسجام أو التنافر بينهما التي تنعكس بدورها على المكان[٢].

والمكان الروائي يعمل على كشف الأثر الذي يتركه في الشخصية الساكنه من خلال رسم أبعادها وتحليلها داخل المكان الذي تتحرك فيه من خلال العلاقة التفاعلية بينهما، التي تسير في الكثير من الأمكنة الروائية في اتجاه ايجابي، غير أن بعض الأمكنة تفرض التأثير السلبي للمكان على

(١) انظر: حمد البليهد، مرجع سابق، ص٩٨.

(٢) انظر: حسن بحراوي، مرجع سابق، ص٥٤.

الشخصية الساكن مثلما حدث مع الشخصيات السجنية التي تفرض المكان السجني، فالعلاقة بين السجن والسجين قائمة على التوتر والقلق وعدم الاستقرار والعنف، وكذلك الشخصية السجنية تظهر دوما في صورة محطمة حزينة مقهورة، وذلك بفعل سطوة المكان/ السجن عليها.

ولأن السجن فضاء قهر وإحباط، فإن الشخصية السجنية تجبر على الانتقال إليه" بما يتضمنه ذلك الانتقال من تحول في القيم والعادات، وإثقال لكاهلها بالإلزامات والمحظورات"(١)، فالشخصية السجنية تفرض دوام عدائها وحربها ضد ذلك المكان المغلق/ السجن بفعل ما يفرضه عليها من انغلاق وضيق وظلمة، وعذاب، فالسجن فضاء سالب لحرية الشخصية وهو ما ينعكس على وجودها في الحياة، فتعيش الشخصية في انتقالها إلى السجن مرحلة حرمان وقهر وسلب لكل ما كان يعيشه خارج حدود السجن.

فالسجن بهذا الوصف يسير في علاقته التفاعلية مع الشخصية في الاتجاه السلبي، فالفقدان والحرمان والعذاب يترك أثره النفسي الكبير في السجين، كما يترك أثره في جسده. وبهذا يحتل السجن وأثره في نفس ساكنه مكانًا بارزًا على خارطة الإبداعي الروائي؛ لما يحمله في طياته من تجربة غنية وواقعية مؤثرة في الوقت ذاته.

ويمكن تصنف آثار السجن إلى:

-أثر نفسي.

-أثر جسدي.

---

(١) حسن بحراوي، مرجع سابق، ص٥٥.

أولًا: الأثر النفسي:

للمكان أثره في نفوس ساكنيه، حيث تندمج معه وتتناغم ليصبح المكان ذا ألفة، وقد لا يحدث ذلك الاندماج إذ يتجاوز ذلك سلبًا، وربما تصل إلى مرحلة معاداة المكان مثلما ما يفعله السجن بساكنيه، فالسجن من الأمكنة الأكثر تأثيرًا في نفس السجين؛ لما فيه من قهر وتعذيب وسلب للحرية منذ لحظات الدخول، فكل هذه العوامل تنعكس على السجين.

ففي روايات السجن، السجين يفارق عالم الحرية (العالم المنفتح) منتقلًا مجبرًا إلى عالم السجن (العالم المغلق)، فينشأ صراع نفسي في شخصية السجين بين تقبل عزلة وانغلاق المكان السجني/ الجديد، وبين الحرية والانفتاح –الأمكنة ما قبل دخول السجن –، فالسجين يرفض المكان السجني المنتقل إليه بالإجبار، كما يرفض عزلته عن عالمه السابق (العالم الخارجي)، فيعيش في صراع نفسي بين تقبل هذا المكان/ السجن وبين عدم تقبله، ولكن لم يلبث حتى يقبل هذا المكان الجديد المليء بالعنف والقهر والسلب، وفي المقابل هناك فئة ترفض هذا المكان بكل ما فيه، فتلجأ إلى الانتحار، كما فعل (موحى) في رواية (سيرة رماد) الذي يرفض ضغوطات السجن وعمليات التحقيق، فلم يستطع مقاومة الواقع –الذي يعيش فيه– ليحاول أكثر من مرة الانتحار، وينجح في المحاولة الأخيرة، فـ " كان موحى معلقا إلى حبل، جسده طويلا يبدو ولسانه أطول، متدليا كغسيل منشور في الظلام"(١)، فهو يرفض السجن؛ لأنه من وجهه نظره لم يُبرأ من التهم الموجهة إليه.

---

(١) خديجة مروازي، مصدر سابق، ص١١٥.

ولأن السجن في روايات السجن مكان تنقلب فيه العادات والقيم والسلوكيات التي كان يمارسها السجين قبل دخوله، فالنوم محدد بوقت، والحركة محددة، والقيم والمبادئ تسلب، فما كان مرفوضًا في المكان القديم -أي ما قبل السجن-أصبح مقبولا في المكان الجديد/ السجن، والسجين يقبل الرشوة ويقدمها من أجل تحقيق بعض متطلباته من زيادة في الوقت وتوفير الأشياء المحظورة عليه ومقابلة بعض الرفاق.

فالسجن يمثل في روايات السجن المكان الجديد الذي يختلف عن المكان القديم-الأمكنة التي يعيش فيها قبل دخوله للسجن- فهو يعيش بين ثقافتين مختلفتين في مكانين مختلفين، فينشأ الصراع بين المكانين المتناقضين الذي بدوره ينعكس على السجين، فتحدث تحولات وتغييرات في البُعد النفسي والاجتماعي له، وكان سبب حدوثها ملامح المكان/ السجن، فتتركز في الزنزانة المظلمة، وتحمل معنى العزلة والحرمان، واللباس الباهت، والممرات والساحة والأسوار التي تفرض كل معاني الانغلاق والحرمان من المقومات الحياتية، ليمارس المكان السجني ضغطه على ساكنيه بكل ما يحمله من معاني العزلة والضيق والظلمة.

فالسجناء في رواية (سيرة رماد) على الرغم مما تعرضوا له من ألوان العذاب والقهر، فإنهم ظلوا متمسكين بمبادئهم وحقوقهم، فسعوا إلى المطالبة بها من خلال خوض إضراب عن الطعام " وضعنا داخل السجن، وعدم السماح لعائلاتنا بالزيارة المباشرة جعلنا نفكر في معركة أخرى. كانوا يقفون بالبارلوار وثلاثة متاريس من القضبان ممتدة بيننا. وضعنا كان رديئا. كدسونا بجناح خاص بعد أن رمونا ببذلة رمادية بالية، بدأ أن الوضع هناك توجيها ما لا يقف عن جلدنا وخنقنا بالماء وكينا بالسجائر والكهرباء

وتصريف كل الأرقام أحكاما تهطل علينا، بل يتجاوز ذلك إلى إهانتنا، إلى إذلالنا على امتداد العمر... قررنا خوض إضراب عام"[١]

فـ (مولين ورفاقه) صمدوا أمام كل تحديات المكان/ السجن، وتمسكوا بكل مقومات حياتهم السابقة –في المكان القديم–وطالبوا بحقوقهم الحياتية التي تليق بالمعتقل السياسي (من مأكل، ومشرب، ومقابلة الأهل والأصحاب)، وتحقق لهم ذلك بعد فتح الحوار معهم، وتحقيق بعض مطالبهم، فقد " قسموا الجناح إلى زنازن فردية وضعت بها أسرة وأغطية ..."[٢]، غير أن السجين (موحي) لم يصمد أمام سطوة المكان كما ذكرنا سابقًا.

الأمر نفسه في رواية (حديث العتمة) فالسجينات يرفضن سطوة المكان/ السجن حيث العزلة و النوم على أسمنت، والتقيد بالسلاسل، وكسرة الخبز والماء الذي يقدم كون ذلك وجبة غذائية لهن كما يرفضن سلب الهوية، وألوان التعذيب التي تمارس عليهن بخوضهن إضراب عام عن الطعام من أجل تحقيق حياة تليق بهن في هذا المكان الجديد/ السجن، فقد صمدن أمام كل التحديات التي واجهتهن من إدارة السجن والحراس؛ ليتمكنّ في النهاية من نيل حقوقهن " لم يكن لنا بد من أن نمارس العنف ضد أنفسنا... الموت أهون من الوضع المفروض... لذلك خضنًا إضرابًا لا محدودا عن الطعام احتجاجًا على هذا الوضع، ومطالبة منا بتحسين الأكل وتمديد وقت الفسحة، إمكانية الاتصال ببقية السجينات، قصد فك العزلة وتبديد الحصر المضروب علينا ومتابعة الدراسة وإدخال الكتب

(١) خديجة مروازي، مصدر سابق، ص٢٤.

(٢) خديجة مروازي: مصدر سابق، ص٣١.

والمجلات..."[١]، فتحقق مطالبهن نتيجة صمودهن أمام سطوة المكان/ السجن عليهن.

وفي رواية (أخاديد الأسوار) حيث السجين لم يستطع الصمود أمام سطوة المكان السجني وقسوته، فنجده عند خروجه منه اختار الهجرة إلى اللاوجود، فهو يرفض السجن والبقاء فيه مما انعكس على حياته بعد الخروج، فنراه –بحسب ما ذكرته زوجته–يفضل العيش في عالم آخر غير عالم ما بعد الخروج (العالم الخارجي)، فهو يرفض حياته في مكانه بعد الخروج كما يرفضها في المكان السجني.

وهكذا فالسجن بسطوته وقسوته من الأمكنة التي تترك الأثر السلبي في ساكنيه من خلال الجوانب النفسية والاجتماعية، فهو من الأمكنة التي ينتقل إليها الإنسان مجبرًا، فيؤثر في نفسه، فبعضهم يحاول التخلص من هذا التأثير بالصمود أمام سطوة المكان السجني، وبعضهم لا يستطيع التخلص من كل تحديات المكان وظروفه. ويمكن تلخيص الآثار النفسية للمكان السجني من خلال:

١. **الصدمة**:

اعتقال السجين ودخوله لأسوار السجن تعدّ نقطة التحول والصدمة في حياته. فبدخوله لذلك المكان/ السجن " ينقطع أخر خيط بينه وبين الحرية"[٢]، فالاعتقال أولى عتبات المكان/ السجن الذي يترك أثره في النفس ليس في السجين وحده بل على عائلته ومن حوله، فتقول السجنية: " حين

(١) المصدر السابق، ص٤٠.

(٢) عبد الكريم غلاب، مصدر سابق، ص٢٣.

طرقت منزل صديقتي بحي المحيط بالرباط، وقد فوجئت بالباب يفتح بسرعة لتجذبني عبر الفتحة يد غريبة، وبقوة إلى الداخل... كانت هذه بداية حكاية الاختطاف التي ستدوم خمس سنوات، والتي تشبه فصلها حكايات ألف ليلة وليلة، والتي ما كان يخطر ببال والدي أن ابنته الحبيبة قد تتعرض لها في يوم من الأيام"[١]. فالاعتقال يمثل صدمة للسجينة، فهي لم تكن تتوقع الاعتقال، حتى أنها وصفته بالاختطاف تعبيرًا منها بشدة تأثيره في نفسها.

فالاعتقال بمنزلة نقطة التحول في حياة الإنسان/ السجين، فهو الفعل الذي ينقله من المكان القديم (عالم الحرية) إلى المكان الجديد (عالم السجن)، فحياته تتغير وتتحول مع هذا التحول المكاني، فمنذ اللحظات الأولى لدخول هذا المكان السجني يفقد هويته الإنسانية التي تحمل اسمه ومكانه في المجتمع الذي يعيش فيه، ليصبح مجرد رقم، أو يحمل اسمًا غير اسمه الحقيقي[٢].

والسجين يخشى لحظة الاعتقال، حتى وإن كانت متوقعه ففي رواية (سبعة أبواب) السجين كان يتوقع حدوث الاعتقال؛ لأن البلاد كانت تمر بفترة اعتقالات آنذاك" كان يوم (٢٠) غشت[٣]، وكتب علي أن أشهد المهزلة وأنا شبة حر... وأصبحت أتمنى عملًا ما وأختفي خلف قبضان حديد... وكانت زوجتي أشفق علي مني، فما استطاعت أن تتصور أن أظل حرا في بلد كل ما فيه أصبح عبدًا، فما كادت ترى سيارة لرجال جيش الاحتلال تقف

(١) فاطنة البيه، مصدر سابق، ص١٠-١١.

(٢) انظر: فاطنة البيه مصدر سابق، ص١٥-١٨. انظر: خديجة مروازي، مصدر سابق، ص١٢.

(٣) أي: الشهر الثامن من السنة الشمسية، وسمي أيضًا أغسطس، ووت، وآب.

بالقرب من المنزل حتى بادرتني: لقد جاءوا... أسرع إليهم، ولكن الله في عونك... ولم تكن أيام وإنما كانت ساعات انتبهت بعدها على طرقات قوية عنيفة فانتفضت من فراشي..."[١]، فالسجين وزوجته كانا على علم بحدوث الاعتقال في أي لحظة، ربما يكون اليوم أو غدا أو بعده، لكن على الرغم من علمهم بأمر الاعتقال وتهيئة أنفسهم له، إلا أن ما يحمله الاعتقال من معاني الخوف والرهبة والقلق كانت حاضرة في تلك الفترة من حياتهم، فهذه الصدمة لم تؤثر في السجين وحده، إنما شملت عائلته معه؛ ليعيش السجين وأسرته لحظات الخوف والقلق من ذلك الاعتقال.

فالاعتقال والسجن يُعدّان النقطة السوداء في حياة الإنسان، وإن كان ما ينسب إليه ظلمًا وكذبًا، فنرى السجين يرفض السجن وسطوته عليه، ويعبر عنه بالعصيان والصراخ، ففي رواية (سبعة أبواب) يرفض السجين المكان/ السجن فهو لم يفق من صدمة الاعتقال إلا بعدما أقفل عليه باب الزنزانة، فـ " تلفت يمينًا ويسارًا فلم يجد غير أشباح ملقاة على الأرض، لم يسعفه النور أن يتبين منها غير الأشباح، بحث عن نوافذ فلم يجد، وبحث عن مفاتيح للنور فلم يجد، وفي سرعة البرق فكر في السرير والوسادة والغطاء... وظن أنها قادمة لا محالة... رأسه يدور أكثر مما كان عليه لأنه لا يجد متنفساً... جف حلقه... أين جرعة الماء؟ بحث عنها فلم يجد هؤلاء المجانين الذين رموا به في الكهف... يكاد يختنق، حنجرته تهتف بصوت جهوري: أفتحوا الباب أيها الأوغاد... افتحوا، وإلا ندمتم على ما صنعتم"[٢]

(١) عبد الكريم غلاب، المصدر السابق، ص١١-١٢.

(٢) عبد الكريم غلاب، مصدر سابق، ص٤٤-٤٥.

فالسجن من أكثر الأمكنة التي تحمل الأخبار الصادمة لساكنيه بدءًا من لحظات الاعتقال، وما يواجه من تغير في حياته مرورًا بصدمة التهم والأحكام التي تطلق في حقهم، فيقابل ذلك بالإضراب عن الطعام الذي قد يصل إلى الموت، وتفشي الأمراض في بعض الأحيان من أجل المطالبة بالحقوق، أو رفض ما يقع عليهم من أحكام، فيرفضون وضعهم " بخوض إضراب لا محدود عن الطعام والجميع متحمس لأن يكون كذلك احتجاجًا على مسلسل الإهانات الذي لا ينته، بل حتى طبيعية الإحكام لا تزال غصة تسكن حلوقنا"(١)، ومع مرور الزمن تحقق مطلبهم بـ" فتح الحوار... وتمت الموافقة على كل ما اعتبرناه مطالب عزيزة ومستعجلة... هكذا بدوا يسمحون لعائلاتنا بزيارتنا في أي وقت وموافاتنا بمتطلباتنا من كتب وجرائد وأوراق"(٢). فالسجين ورفاقه لم يجدوا مهربًا من وحشية السجن وقسوته إلا اللجوء إلى الإضراب عن الطعام الذي استمر فترة طويلة، واستنزف الجسد والروح لتحقق مطالبهم، وبذلك تحول المكان/ السجن من كونه مكانًا موحشًا إلى مكان حيوي بفعل سطوة الزمن عليه.

٢. **كسر الإرادة**:

الإنسان بطبعه يرفض القيود والعزلة، كما يرفض الشعور بالاختناق، فهذه المعاني والرموز يحملها المكان/ السجن الذي ينقل إليه مجبرًا، فتتغير حياته بانتقاله لهذا المكان لما يحمله من إلزامات ومحظورات تفرضها المكان بوصفه فضاءً فاقدا لكل مقومات الحياة (ماء، وهواء، ونور...) كما تفرضها إدارة السجن، ليقع السجين تحت وطأة المكان ومحظوراته، التي

(١) خديجة مروازي، مصدر سابق، ص٢٤-٢٥.

(٢) المصدر السابق، ص٢٨.

تعمل على تقييده وسلب حريته التي يسعى دومًا إلى تحقيقها في أي مكان وزمان.

فالسجين في المكان/ السجن يُحرم من المقومات التي تتحقق بها حريته، وهي تلك المقومات التي يتمتع بها خارج حدود ذلك المكان، وبذلك يصبح السجن فضاءً تحويليا، تتحول فيه عادات السجين بالإجبار بحسب ما يفرضه عليه المكان. فالحياة داخل المكان السجني لها طابع خاص مختلف عن تلك الحياة في الأمكنة الأخرى، إذ إن ساكنيه لهم لبسهم الخاص والموحد عليهم جميعًا، فيصفه (مولين) في رواية(سيرة رماد) " ببدلة رمادية باليه"(١)، فالإنسان في المكان الخارجي له مطلق الحرية في اختيار ملبسه، لكنه عند انتقاله للمكان السجني تتغير هذه العادة بالإجبار، فليس للسجين الحرية في ذلك الأمر، إذ يفرضه السجن وإدارته عليهم.

فليس اللباس الموحد مفروضًا على السجناء وحدهم، وإنما على إدارة السجن، كما أن المكان السجني يفرض عليهم لباسا موحدًا، إذ وصفه في رواية(سبعة أبواب) " الكسوة الرسمية ذات العقد الصفراء اللامعة والحزام الجلدي الصارم، والمسدس والبندقية والقبعة الوجيهة "(٢)، فكل هذا يعطي السجناء وإدارة السجن دافعًا نفسيًا لتعويض الفشل الذي قد يلحقهم في المجتمع.

ويفتقد السجين في المكان/ السجن الحرية في المأكل بوصفه فضاء تعسفيًا يحمل معاني السطوة والحرمان، فأكله كما ورد في روايات السجن لا

(١) خديجة مروازي، مصدر سابق، ص٢٣.
(٢) عبد الكريم غلاب، مصدر سابق، ص١٠٤.

يخرج عن(كسرة خبز يابس)، وفي الأغلب يحتفظ السجين ببقايا ذلك الخبز لسد جوعه في الأوقات الأخرى. غير أنه قد يتنوع الأكل بين أكلة (البيصارة، أو الثردة، أو العدس من الحجر...)

لكن قد يتمتع السجين بنوعية خاصة من الطعام، كما حدث في رواية(سيرة رماد) أثناء حفل زفاف (صلاح وسعاد)، فهذا الحدث أضاف إلى المكان/ السجن نوعا من التغيير والخروج عن المعتاد، ليمارس فيه السجناء طقوس الزواج بما هو متوافر لهم، فيجلب (مولين ورفاقه) أنواعًا من المشروبات والأطعمة بمساعدات من الأسر والحراس.

ولأن السجن يفرض على ساكنيه حياة جديدة، تفقد كل مقومات الحياة الحقيقة التي يمارس فيها كل أمور حياته، فنجده يفقد النور والهواء، كما يفقد الغذاء الجيد والراحة والنوم بحرية، فالمكان/ السجن يحتِّم عليه النوم والاستيقاظ في وقت محدد، ويفقد أهله وأصدقاءه كما جاء في رواية (كان وأخواتها)؛ إذ حرموا منهم كعقاب من إدارة السجن لإضرابهم(١).

فالمكان السجني يفرض على ساكنيه أنظمة وقواعد ليست في الأمكنة الأخرى، هذه الأنظمة تترك أثرها السلبي في نفس ساكنيه، فيسطو عليهم المكان قهرًا وذلًا وظلمًا، غير أن السجين ورفاقه يتخلصون من تلك السطوة، بتحقيق بعض المطالب التي يسعون إليها من خلال الإضراب، لتحقيق نوع من الحياة الحقيقية التي كانوا يعيشونها في المكان القديم.

لكن السجين يستطيع تغيير سطوة المكان السجني عليه بإدخال ما هو محظور وممنوع، وذلك بمعاونة السجناء والحراس في بعض الأحيان،

(١) انظر: عبد القادر الشاوي، مصدر سابق، ص٢٧.

وبالتالي فالأثر النفسي الذي يتركه المكان بسطوته وحرمانه من الحرية في نفس ساكنيه يخف تدريجيًا بفعل العوامل المساعدة التي هي في الأغلب تحقق كل ما هو محظور وممنوع في ذلك المكان السجني، فالسجين يسعى دومًا إلى الحصول على الممنوع بشتى الطرق كما فعل (صلاح) في رواية (سيرة رماد) عندما منعته إدارة السجن من مقابلة السجنية (سعاد)- المسجونة في عنبر النساء- فقد قام بحبك الطريقة التي تمكنه من اللقاء بها، ففكر بالزواج بها، فتحقق مطلبه بقبول الإدارة، غير أن الإدارة رفضت إتمام الزواج الفعلي، مما دعاه إلى التفكير في إنجاب الطفل، فصلاح يرى " إن الحياة ليست حياة دون طفل وامرأة"(١)، وتحقق له ذلك بمساعد الحارس والرفاق.

غير أن (صلاح) ما يلبث حتى يفقد (سعاد) بعد مجيء طفلهما، ليخرجه هذا الفقد من عالم الفرح والسعادة -الذي كان يلون فراغ المكان/ السجن لـ(صلاح)- إلى عالم يحيط به الحزن والصمت، فكان الفقد " هزة عنيفة لكيان صلاح، أدخله في صمت رهيب يزيد على سنة، ابنه صمد وحده، هو من يؤثث القلب ويرش وجهه بابتسامة مؤقتة في كل زيارة"(٢)، وبالتالي هذا الفقد يعود بـ (صلاح) إلى سطوة المكان/ السجن التي قد تخلص منها بلقاء (سعاد).

فالمرأة من محظورات المكان السجني، فكثيرًا ما يفقد السجين الجنس الآخر(المرأة) التي هي خير معين على تحمل أعباء تلك التجربة، فزوجات السجناء في الأغلب لم يصمدن كثيرًا أمام هذه التجربة، فسرعان ما يقررن

(١) خديجة مروازي، مصدر سابق، ص٨٣.
(٢) المصدر السابق، ص١٢١.

الانفصال عن أزواجهن السجناء.

غير أن بعضهن كن خير معين للسجين لتحمل أعباء التجربة السجنية، فـ(ليلى) في رواية (سيرة رماد) ليست الزوجة لـ (مولين)، وإنما هي الصديقة والحبيبة، فجاءت زياراتها وحواراتها لدعم معنوياته، حتى تحين لحظة الخروج من هذا المكان وإكمال المشوار معها.

لكن زيارات (ليلى) لـ (لمولين) تنقطع تارة بزواجها وتارة أخرى باعتقالها، فكان لهذا الانقطاع وقع في نفس (مولين)، فيقول: " تغيب ليلى، ولا من يسب الوهج في الجسد، ولا من يزحزح اليرقات من داخل رأسي المتعب. تغيب ليلى ولا من يوقظ أحلامي أو ينتشل نحيبي"(١)، فـ (ليلى) وجود يملأ فراغ (مولين) في هذا المكان السجني، وغيابها وانقطاعها عنه يترك أثره السلبي في النفس، إذ أصبح(مولين) غير قادر على تحمل أعباء المكان/ السجن، ليصبح عرضه للأمراض والحزن، فانقطاعها يحرق نفسه مثلما يحرقها السجن(٢).

ولا يرتبط الفقد بالمرأة، بل يفقد السجناء رفاقهم في السجن، إما بسبب الموت كفقد(موحي، وصمد مهداوي) في رواية (سيرة رماد)، ويغطي الحزن والبكاء المكان/ السجن عند فقدان هؤلاء الرفاق.

كما يفتقد المكان/ السجن جو الأسرة والأهل والأصدقاء، لاسيما في اللحظات الأولى من الاعتقال، وكثير ما يترك أثره السلبي في نفسية السجين؛ ليعيش السجين صراعًا مع ذلك المكان الجديد/ السجن، فيرفضه

(١) خديجة مروازي، مصدر سابق، ص٦٩.

(٢) انظر: المصدر السابق، ص٧١.

بكل أشكاله وتحولاته، لكن يتقبله نوعًا ما بعد السماح لـه بمقابلـة الأهـل والأصدقاء وحتى الرفاق داخله.

فالمكان/ السجن يتحول إلى فضاء تعسفي يحمـل معـاني الحرمـان والفقد، ففي أيامه الأولى كثير ما يحرم السجين من الزيارات، وربما أسرته لا تعلم أين هو من شدة التحفظ عليه، ففي رواية (سبعة أبـواب) السـجين يفقد زوجته وابنه منذ لحظة الاعتقال، فنجده يسأل عنهما أثنـاء حـوارات التحقيق، وفي رواية (حديث العتمة) تفتقد السجنية (فاطنة) الأسرة، ففي أيام اعتقالها الأولى لم تعلم أسرتها سبب غيابها.

٣. **الاستلاب**:

الشعور بالمراقبة:

يفرض المكان السجني نظام المراقبة المستمر على ساكنيه، وإن كانت المراقبة ليست واضحة لهم، فالسـجين داخـل السـجن يشـعر بالمراقبـة المستمرة والدائمة من قبل الحراس والمراقبين التـابعين لإدارة السـجن[١]، فالمراقبة تكون إما معلنة، أو سرية.

المراقبة الجهرية/ العلانية:

هذا النوع من المراقبة يكون ظاهرًا للسـجين ويعلـم بهـا، فينتشـر الحراس والمراقبون في أرجاء السجن عند الأبواب والزنزانـات والأسـوار والساحة والممرات. ويشعر السجين في السجن وكأنه كتاب مفتوح أمام الكم

(١) انظر: أحمد الرغبي، أسس علم الـنفس الجنـائي، دار زهـران للنشـر، ط١-٢٠٠١ م، ص٢٨٥.

الهائل من هؤلاء الحراس والمراقبين، فهم " كأنهم سجناء مع السجناء أنفسهم"(١).

فالثقب الصغير الذي يتوسط باب الزنزانة هو بمنزلة البرج الذي " يتلصص منه السجانون، ويراقبون حركات المسجونين"(٢)، إذ إن حركات السجين وردود فعله في هذا المكان تقع تحت أعين إدارة السجن بمساعدة الحراس والمراقبين، فهم " رجال انقطعوا للحراسة ليل نهار"(٣)

فالسجن وساكنوه يحيط بهم الحراس من الخارج، والأسوار يحرسها الحارس الليلي الذي " لا يحرس السجن من الخارجين عنه، ولكن حراسة عالم الحرية من ضيوف السجن ونزلائه"(٤)، فالمكان السجني يختلف عن غيره من الأمكنة بحراسته المشددة من الداخل والخارج، وبذلك يترك أثره السلبي في ساكنيه بسطوة المكان عليهم، فيعيش السجين فيه عالم العزلة والقهر والظلمة، ولا يخرج كثيرًا عن سطوة المكان بأي فعل كان.

أما الزنزانة فإن أعين الحراس تحرسها طوال الوقت، فكل حركات السجناء يعلم بها الحارس من خلال نافذة بابها الصغير، كما جاء في أغلب روايات السجن، أو من خلال التنصت من قبل الحراس، فالمراقبة تعطي المكان/ السجن معنى الحصار والتضييق، وهذا ما يترك أثره السلبي في ساكنه، فهو لا يستطيع ممارسة أبسط حقوقه الحياتية داخله، فيغطي عتمة الزنزانة بعوالم الذكريات والأحلام واسترجاع الماضي، فصوت الحارس

(١) عبد الكريم غلاب، مصدر سابق، ص١٠١.
(٢) عبد الكريم غلاب، مصدر سابق، ص١١٠.
(٣) عبد القادر الشاوي، مصدر سابق، ص٢٢١.
(٤) عبد الكريم غلاب، مصدر سابق، ص٦٠.

وحده كافٍ لعودة السجين إلى سطوة مكانه بقسوته واستبداديته، إلى حيث الظلمة والعتمة التي تغطي هذا المكان/ الزنزانة، إذ إن صوت الحارس في رواية (حديث العتمة) " يعود بالسجين إلى عالم القيود والسدود"(١)

فالسجين في الزنزانة تحكمه غرفة ذات جدران ضيقة ومشددة الحراسة، ولا تسمح له الإدارة بالخروج منها إلا في أوقات محددة، فلا يخرج منها السجين إلا وهو مراقب من كل فئات الحراسة، وكل هذه التشديد والمراقبة التي تحيط بالمكان/ السجن هي من دواعي إدخال الخوف والرهبة، وبالتالي تحقق سطوة المكان على السجين بكل ما تحمله من تضييق عليه، فهذا المكان من الأمكنة التي تبث شعور الغربة والنفور في نفوس ساكنيه.

المراقبة السرية:

السرية هي النوع الأخر من المراقبة، حيث في الغالب تكون من قبل الرفاق الذين تستخدمهم إدارة السجن لاعتقال السجناء. فكثيرًا ما يستخدم السجين بمنزلة الطعم من أجل الإطاحة بزميله، ولاسيما في فترة الاعتقال، فاعتقل السجين (عبد اللطيف) بعد أن استخدمت إدارة السجن أحد الرفاق لجذبه، ومن ثم اعتقاله، كما في رواية (كان وأخواتها)، إذ كان الرفيق يراقبه ومن معه فترة من الزمن حتى تم اعتقاله.

ولا تقتصر المراقبة السرية على الرفاق، بل قد تكون من قبل الحراس أنفسهم من خلال مراقبة حركات السجناء في بعض المواقف، فيكلف الحراس بالمراقبة الدقيقة للسجين دون شعوره في الغالب. فيعيش السجين

(١) فاطنة البيه، مصدر سابق، ص٤٩.

في صراع المراقبة داخل المكان الجديد بهدف التضييق عليه.

غير أن المكان السجني يخرج من أثره السلبي عن طريق مساعدة بعض الحراس للسجناء، حين يقومون بتوفير بعض مقومات عالم الحرية التي يفتقدها المكان السجني، ومن هنا نجد بعض الحراس يستغلون الفرص لتقدم بعض المساعدات للسجناء، فقد يؤدي الحارس مهمة ساعي البريد، كما في رواية(سبعة أبواب)، نجد الحارس (بو شعيب) ينقل أخبار العالم الخارجي إلى السجناء[١]، وفي رواية (سيرة رماد) سهل الحارس (وهاب) وسائل التواصل، سواء أكانت بين السجناء أنفسهم أو بينهم وبين عائلاتهم[٢]، أو يسمح لهم بمساعدة الحارس بالخروج من الزنزانات دون علم إدارة السجن كما في رواية (كان وأخواتها)[٣]، أو التعاطف مع وضع السجينات لحظة دخولهن، والبكاء على الشهداء من السجناء كما في رواية(حديث العتمة)[٤]. وقد تكون مساعدات الحراس للسجناء مشروطة بتحقيق بعض مطالبهم، فالحارس (علال) في رواية (سيرة رماد) يستجيب للسجين (مختار) من أجل مقابلة (مولين وليلى)، كذلك في جلب بعض الاحتياجات من الخارج، وذلك مقابل تقسيم كل ما يمكن تقسيمه أو إعطاؤه ما يصله من العائلات[٥].

(١) انظر: عبد الكريم غلاب، مصدر سابق، ص١٢٠.
(٢) انظر: خديجة مروازي، مصدر سابق، ص٨١-٨٢.
(٣) انظر: عبد القادر الشاوي، مصدر سابق، ص٧٢-٧٣.
(٤) انظر: فاطنة البيه، مصدر سابق، ص١٣٠-١٣١.
(٥) انظر: خديجة مروازي، مصدر سابق، ص٧٥، ١٢١.

وفي رواية (سبعة أبواب) كان الحارس يستغل السجناء عندما تغلق الأبواب عليه، فيجمعهم في زنزانة واحدة ليأكلوا ويشربوا ويلعبوا الورق، أو للحديث عن الأوضاع السياسية في البلاد وأوضاعهم بصفتهم مسجونين مقابل تنازل اثنين عن حصتهم من الأكل له [١]، أو للاجتماع مع بعض الرفاق داخل زنزانة معزولة مقابل " سيارة يقضي بها عطلته... ومال يوازن به ميزانيته التي لا توازن مطلقاً "[٢]، أو يعينهم في بعض احتياجتهم، مقابل سجائر أو أكل كما فعل الحارس (البال مال)[٣].

وهذا ما يترك أثره الإيجابي في نفس السجين، إذ يمكنه ممارس بعض الأنشطة الحياتية التي كان يمارسها في خارج السجن؛ مما يعود بأثره الإيجابي على نفسية السجين، فيتخلص قليلًا من سطوة المكان السجني بتخفيف بعض قيوده.

فقدان الخصوصية:

يفرض المكان على الإنسان الشعور بالذاتية، لكن هذا الشعور سرعان ما يفقده الإنسان عند دخوله إلى المكان/ السجن، إذ تنعدم فيه مظاهر الحياة الاجتماعية الطبيعية، التي تعطي الإنسان ذاتيته من خلال المقومات الطبيعة.

فالمكان/ السجن يفرض على ساكنيه الخروج من الزنزانة في وقت محدد، إذ" كانت الزنازين تعرف حركة المفاتيح مرتين في الصباح ومرتين في المساء، إذ تقضي المعتقلات والسجينات صباحهن خارج الزنازين،

(١) انظر: عبد الكريم غلاب، مصدر سابق، ص١٦٧.
(٢) المصدر السابق، ص١٠٩-١١٠.
(٣) انظر: المصدر نفسه، ص١٠٧-١٠٨.

ويخلدن إلى الراحة وقت القيلولة، ثم تدب الحركة مرة ثانية"[١]، فهذا التقييد لحرية السجين وحرمانه من الخصوصية بوصفه إنساناً يرغب العيش دون قيود، هو ما يفرض سطوة المكان على السجين، وبالتالي يفرض الأثر السلبي للمكان/ السجن الذي يعيش فيه السجين مقيدًا بحدود الزمن ليتحول هذا المكان إلى مكان يشعر فيه ساكنه بالغربة والنفور، حتى لو توافر فيه مقومات الخروج من هذه القيود، يبقي ذلك المكان المعادي لذاتية الإنسان.

وطريقة الحياة في ذلك المكان/ السجن موحدة ليس لساكنيه حرية التصرف فيها، فالحياة تتبع أنظمة المكان/ السجن، فالزنزانات تغلق في وقت محدد من الليل ولا تفتح إلا في الصباح، كما أن وقت الأكل محدد بوقت، فـ " قوانين السجن لا تسمح إلا ببعض ساعة من نور يمكنك فيها أن تتناول عشاءك"[٢]، والنوم يتم في وقت محدد، إذ هو مرتبط بإطفاء نور الزنزانات في الليل، فطبيعة الحياة في ذلك المكان/ السجن يغلّفها الجمود، الذي لا يستطيع ساكنه التخلص منه، وبالتالي يغطي الجمود على ذاتية السجين داخل أسوار هذا المكان.

فقدان الهوية:

كما تسعى طبيعة السجن إلى فقدان الهوية لساكنيه، فمنذ لحظات الدخول إلى السجن، يفتقد السجين فيه اسمه وهويته بصفته إنساناً، ويتحول إلى مجرد رقم في هذا المكان، أو ينادى بغير اسمه " السي سعد السي سعد... فقلت في اضطراب معي أنا(ومن غيرك يا ابن الفاعلة) أنا اسمي هو

(١) فاطنة البيه، مصدر سابق، ص٣١.

(٢) عبد الكريم غلاب، مصدر سابق، ص٧٠.

الآخر... فأنا لست سعد ولا يمكن أن أكون اسما حركيا..." [١] كما في رواية (كان وأخواتها)، وفي رواية (حديث العتمة) تنادي السجينة (فاطنة) بـ (رشيد)[٢]، فهذا الفقد للهوية لم يخرج السجين من صدمة سطوة المكان، وبالتالي فالمكان السجني يفترض على السجين التخلص من اسمه وهويته مجبرًا.

والنور بالنسبة للسجين محصور بالدخول من النافذة، أو عند الخروج إلى الساحة، وكذلك الهواء، وتناول الأكل والنوم محددان بوقت محدد، كذلك الخروج إلى الساحة محدد بوقت محدد، فكل هذه العوامل تساعد على سطوة المكان/ السجن على ساكنيه.

فمحدودية الحياة وطبيعتها داخل المكان/ السجن تفقد ساكنيه حرياتهم حتى في قضاء حاجاتهم الطبيعية، فأغلب الزنزانات يوجد بها " مرحاض مكشوف داخل زنزانة يسكنها ثلاثة أصدقاء"[٣]، فالسجين يفتقد إلى هذه الخصوصية، وهذه تعد من أهم المشكلات التي تواجه السجين في هذا المكان، فلا مجال للخصوصية في قضاء حاجته، مما يجعل السجين يقع في الحرج مع رفاقه، إذ إن أدنى حركة أو صوت يصدر منه عرضة لإيقاظهم، وهذا من سلبيات المكان/ السجن التي يعاني منها السجين.

فالمكان/ السجن الذي ينتقل إليه ساكنه مجبرًا يحمل معاني الفقد والتقييد، إذ إن ساكنه يفقد الكثير من مظاهر حياته الطبيعية التي يعيشها ويمارسها في المكان القديم، مما يؤثر سلبًا في حياته، فيعيش فاقدًا للنور

(١) عبد القادر الشاوي، مصدر سابق، ص٤٦.
(٢) انظر: فاطنة البيه، مصدر سابق، ص١٥.
(٣) عبد الكريم غلاب، مصدر سابق، ص٨٤.

والهواء والماء والهوية؛ مما يجعله يشعر بالغربة والعزلة والذل في هذا المكان/ السجن، ويتولد لديه الحنين المستمر إلى المكان القديم، أو إلى سرعة الخروج من هذا المكان/ السجن والعودة إلى ذلك المكان القديم الذي يشعره بذاتيته.

ثانياً: الأثر الجسدي

كما يترك المكان السجني أثره النفسي (السلبي أو الإيجابي) في ساكنيه، فإنه يترك أثره الجسدي كذلك، وبحكم طبيعة هذا المكان/ السجن يكون الأثر إما عن طريق ما يلقاه نزلائه من صنوف التعذيب وألوانه من إدارة السجن مقابل الاعتراف؛ لأن" لا قيمة للإنسان عندها إلا بمقدار ما يقدم لها من خدمات"(١)، أو يكون من خلال سطوة المكان/ السجن، وما يحمله من قيود وأنظمة تسطو على ساكنه/ السجين، فيمكن تصنيف تلك الآثار:

١- الأثر الجسدي المباشر:

يرتبط هذا الأثر بالتحقيق الذي كثيرًا ما يتخلى فيه المحقق أو الجلاد عن مبدأ اللين المزيف ليلجأ إلى مبدأ القوة والعنف والتهديد(٢)، فتضم روايات السجن عددًا من الصور غير الإنسانية التي يواجه فيها السجين سطوة المحققين والجلادين لإجباره على الاعتراف، كذلك قمع كل مرتد، إذ يرى الجلاد في جسد الإنسان نقطة ضعف ينفذ منها لأخذ كل ما يريد من الإنسان/ المعتقل؛ لأن في اعتقاده كل شيء يبدأ من الجسد.

وتتدرج صور التعذيب التي يمارسها الجلاد على السجين، من الصراخ

---

(١) سمر روحي الفيصل، مرجع سابق، ص١٥٠.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص٤٠.

والضرب بالكف، أوالركل بالقدم، أو اللكم باليد، أو الضرب بالعصا، أو بالسلاسل وكل ما يبعث على الفزع والرعب والخوف في نفس السجين، إذ يتحول إلى مجرد أداة مشوهة ومعذبة بتفريغ غضب المحقق أوالجلاد عليه، وتحمل كل معاني الخوف والرهبة في مواجهة المكان/ السجن.

وترصد روايات السجن بعض صور التعذيب التي تتبعها أنظمة السجون المغربية، وتكون ذات شأن عند الجلادين والمحققين؛ لأنهم لا يرغبون إلا في الحصول على الاعتراف من قبل السجين(١). ولكي تكون طبيعة التعذيب واضحة، فإن أثرها يقع مباشرة في جسد السجين؛ مما يترك أثره الذي قد يزول بعد مرور زمن طويل أو ربما لا يزول، ويمكن أن نشير إلى مفردات التعذيب، فالرواة يتفاوتون في سرد تفاصيل التعذيب بين التمليح والتفصيل، وبين التجاوز والنسيان، إذ إن الروائي يسعى لرصد أشكال العذاب التي تمارس على جسد السجين في تلك السجون، فهمّه تصوير وحشية التعذيب وسطوته على جسد السجين، وهي:

- السب والشتم بألفاظ بذيئة.
- الضرب بالسياط والكرباج والصفع.
- وضع الحذاء على الرقبة والوجه.
- التقييد بالسلاسل.
- وضع التيار الكهربائي تحت الأظافر وقلعها.

---

(١) انظر: سمر روحي الفيصل، مرجع سابق، ص١٥٠.

- الجلد بالسياط على الرجلين وتسمى (الفلقة).

- تعرض النساء للتحرش والاغتصاب.

- الضرب المبرح على القدمين، وتسليط الصدمات الكهربائية، إلى درجة يصعب الوقوف عليهما.

- الكي بالسجائر والكهرباء في المفاصل والأعضاء التناسلية.

- حلق شعر الرأس بالقوة والإجبار.

- ممارسة الأعمال الشاقة.

- الحرمان من الضوء والصوت والحركة.

- تحديد نوعية معينة للأكل، وفي الغالب يكون خبزًا يابسًا.

- قطع اللسان.

- رش مكان الضرب بالماء الملوث.

إن كل مفردة من هذه المفردات تشير إلى لون من ألوان التعذيب في السجون المغربية، كما رصدتها مدونة الدراسة من خلال بناء السجن، ففي رواية(كان وأخوتها) كان يمارس مع ساكني السجن ألوان وأصناف من وسائل التعذيب، والغرض منها هو أخذ الاعتراف، فقد كان " السياط يعلو وينزل على كتل طرية من اللحم الآدمي ترتطم بالحائط تأتي على الرأس، فترتفع أذرع مشدودة إلى الخارج..."[(١)]، ولون آخر" يرتمي الحارس على السجين لكي يطرحه على الأرض ويشرع في حلق رأسه كأنه ينتف نباتاً

(١) عبد القادر الشاوي، مصدر سابق، ص٢٣٩.

طفيليًا"[١]، فالجلاد أو المحقق يتحول إلى وحش يفرغ غضبه على جسد ذلك السجين من أجل الاعتراف، فهذه الوسائل التعذيبية من شأنها أن تترك أثرها في جسد السجين، الذي قد يستمر زمنًا طويلًا، وهذا التراكم الآلام الجسدية يؤثر في ممارسة السجين لحياته الطبيعية، وبالتالي يؤثر في نفسيته.

وفي رواية (حديث العتمة) يظهر لون أخر من ألوان التعذيب، فالجلادون يستخدمون (الفلقة)، وهي المرحلة التي تأتي بعد (التعليق أو التعلاق) -بلغة سجن درب مولاي الشريف- فهذا اللون يتم " بشد القدمين جيداً بحبل فيكون صاحبهما في أسفل السافلين... الرجلان في الأعلى والرجلان في الأسفل، ويستمر الجلد بالسياط، والسؤال عن أفعال وأقوال أو لقاءات وتلك هي الفلقة، أو على الأقل هذه حدود معرفتي... كنت أفقد الوعي مباشرة بعد الضربات الأولى"[٢]، فالقدمان كثيرًا ما يسلط عليهما التعذيب في الرواية نفسها إذ " الضرب المبرح على القدمين بحيث يصبح من الصعب الوقوف عليهما... وتسليط الصدمات الكهربائية على باطن القدمين أو تحت الأظافر"[٣] هذه العاهات التي تصيب السجين، والناتجة عن عمليات التعذيب، تترك أثرها في جسد السجين، كما تترك أثرها في نفسيته وقد يصل الأمر إلى حدّ فقدان الوعي للتخلص من الألم وعذابات النفس والجسد، وعلى الرغم من ذلك لم تنسَ السجينة هذا الألم طول مدة بقائها في ذلك المكان/ السجن.

---

(١) عبد القادر الشاوي، مصدرسابق، ص٢٤٠.

(٢) فاطنة البيه، مصدر سابق، ص١٧.

(٣) المصدر السابق، ص٢٤.

وتأخذ رواية (سيرة رماد) لونًا آخر مختلفًا ومغايرًا لصنوف التعذيب السابقة، فالسجينة (ليلى) تعرضت لأشد صنوف العذاب من ضرب وتحرش، فعند التحقيق يقوم الجلادون بممارسة هذه الصورة التعذيبية معها، حين أمروها بخلع ملابسها، أوهم من يقومون بالأمر" لتصبح عارية أمامهم إلا من التبان... أحسستهم يتغامزون بالرغم من تكثيف (البندا) على عيني. كلامهم يقول ذلك. أطلقوا ضحكاتهم وبدأت خطواتهم تقترب مني، من الجسد... رأيت النجمة التي تمر من هنا. نعم أيتها بفعل الصفعة ثم الصفعات المتوالية... ثم انتقلوا إلى حصة السوط الذي بدأ يترنج ليرسم فحولته على جسدي، غثيان يتصاعد إلى الحلق، الحموضة تقطر على قلبي... رأسي في الأسفل ورجلاي معلقتان في الأعلى..."[(١)]، فصنوف التعذيب تركت أثرها في جسد السجينة، بالإضافة إلى ما نتج عنها من أمراض، وهذا الأثر لم تستطع السجينة التخلص منه سريعًا، فلابد من مرور فترة من الزمن للتخلص من سطوة تلك الصور التعذيبية عليها.

فصنوف التعذيب تصور وحشية المحققين والجلادين، وفقدان كرامة الإنسان وحقوقه في هذا المكان/ السجن، فيستغل هؤلاء جسد الإنسان السجين لتحقيق رغباتهم الإجرامية وتعويض نقصهم؛ لأن الغرض الكامن وراء هذه الوحشية هو إثبات أنفسهم لدى السلطة وحفاظًا على مكانتهم ومصلحتهم، فهدفهم يكمن في أخذ الاعتراف لإرضاء السلطة.

وبالتالي ترسم ألوان العذاب عاهات وعلامات في جسد السجين، إذ إنه من الصعب أن يتخلص السجين من تأثير تلك الصنوف في زمن قصير،

(١) خديجة مروازي، مصدر سابق، ص١٤١-١٤٢.

وربما بعضها لا يمكن التخلص منه، وبعضها يترك أثره الجسدي النفسي، فنتيجة لما يتعرض له جسد السجين من ألوان التعذيب، وخصوصا في المراحل الأولى من السجن يؤثر في نفسية الشخصية ليصبح المكان السجني مكانًا معاديًا غير راغب العيش فيه مطلقًا، كما يشعر فيه بالغربة والنفور والوحدة.

٢- الأثر الجسدي غير المباشر:

يرتبط هذا الأثر بما يلحق السجين أثناء فترة إقامته في المكان/ السجن، فيتعرض لكثير من الضغوط والألم والقهر؛ مما يجعله غير قادر على التكيف مع سبل العيش فيه، فتصدر منه بعض الأفعال التي تعبر عن رفضه للعيش بأنظمة السجن وقوانينه، مثل: الإضراب والانتحار والعصيان ونحوها.

فالإضراب تجربة جماعية يخوضها السجناء عندما يدركون حقيقة وضعهم بصفتهم السجناء، ومدى ما تمارسه إدارة السجن من ضغوط عليهم، فينجح بعضهم في تحقيق الغرض من هذا الإضراب، كما في رواية (سيرة رماد) " حيث تمت الموافقة على كل ما اعتبرناه مطالب عزيزة ومستعجلة "[١]، وفي رواية(حديث العتمة) " كانت الاستجابة لمطالبنا اعترافا صارخا بهذا التناقض. لقد كسبنا المعركة... "[٢]، فالسجناء في استخدامهم لوسيلة الإضراب ما هو إلا تعبير عن سطوة المكان/ السجن وإدارته عليهم وما يلحق بهم من أحكام وتهم وقهر وظلم، ولهذا الإضراب جانبان: أحدهما

(١) خديجة مروازي، مصدر سابق، ص٢٨.
(٢) فاطنة البيه، مصدر سابق، ص٤٥.

إيجابي، يتمثل في خضوع الإدارة لمطالبهم، وتحقيق حياة تليق بالسجناء في هذا المكان/ السجن. وثانيهما سلبي، يتمثل في الآثار الناتجة عن هذا الإضراب نتيجة الامتناع عن الطعام لفترة طويلة، قد تصل إلى حد الموت في بعض الأحيان، ففي رواية (حديث العتمة) " فجأة سمعنا بكاء ونواحا منبعثا من أحد الزنازين، ثم صراخا وعويلًا: الله عليك يا سعيدة الله ياربي، شابة ووردة، قتلوها الكفرة بالجوع اقبروها بلا وقت"(١)، فالسجينة (سعيدة المنبهي) ماتت من أثر الإضراب الذي خاضته من أجل فرض حقوقها بصفتها معتقلة سياسية، ففعل الموت أتى بعد تردي أحوالها الصحية نتيجة خوضها مع رفيقاتها (فاطمة عكاشة وربيعة الفتوح) الإضراب لفترة من الزمن.

ولأن السجن فضاء تنعدم فيه الحياة الطبيعية، قررت السجينة (فاطنة ورفيقاتها) خوض إضراب غير محدود استمر لأكثر من ستة أيام، فبدأت تظهر آثار هذه الإضراب على السجينات " صداع في الرأس... صعوبة وبطء في الحركة، مغص في الأمعاء... تزداد النحافة... يرتفع الضغط وتزداد حدة الألم عند كل حركة... ملابسي لم تعد تثبت على جسمي تنزلق من فوقه كلما حالت تغييرها في الصباح ... أصغرنا سنا هي نكية، وأكثرنا إصابة أيضًا: تورم في الركبتين، وعجز عن المشي، التهاب في الأمعاء، ضبابية الرؤيا، لقد كانت صحتنا تدهور يوما بعد يوم"(٢)، فآثار الإضراب على الجسد لم تظهر في البداية، وإنما بعد مرور فترة من الزمن، قدرتها السجينة بستة أيام تقريبًا، فمعاناة السجينة ورفيقاتها من تشديد الحصار

(١) المصدر السابق، ص٣١.

(٢) المصدر نفسه، ص٤٣-٤٤.

عليهن، والعذاب النفسي والصمت والوحدة والعزلة عن بعض الرفيقات، هي ما دعت السجينة لخوض الإضراب مع رفيقاتها، إلا أن خلال هذه الفترة بدأت تظهر بعض الأمراض، التي من الممكن ألا يستطيع السجين التخلص منها بسهولة.

والأمر نفسه في رواية (سيرة رماد) حيث يخوض السجين (مولين ورفاقه) إضرابًا عامًا عن الطعام نتيجة لسطوة المكان/ السجن عليهم، فترك هذا الإضراب- الذي استمر لأربعة أسابيع- عدة سلبيات منها: " الدخول في الغيبوبة... والانتقال إلى المستشفى... موت صمد مهداوي... فظهرت أعراض مرض المعدة من قروح وجروح لدى أغلبية الرفاق، فكان لابد من اتباع الحمية"[(١)]، وكما أصيب السجين(خالد) نتيجة الإضراب المستمر بعاهة مستديمة في جهازه العصبي" انعكست على التوازن الذي فقده على مستوى جسده كله، فلم يعد قادرًا على الوقوف بشكل ثابت، فهو كثير الاضطراب والارتعاش"[(٢)]، فهذه العاهة أجبرته على زيارة الأطباء المختصين باستمرار، كما أثرت بدورها في أعضاء جسمه ليصبح (خالد) جرحا دفينًا يحمل كل معاني الحزن للسجناء.

والسجن بوصفه فضاءً مغلقًا؛ ولأنه من أفقر الأمكنة لقلة وجود الماديات فيه، فنراه لا يسمح إلا بدخول القليل من الهواء والماء والضوء مما يؤثر في طبيعية الحياة فيه، ليعيش السجين حالة من الوحدة والعزلة، إذ تكثر الأمراض كالصداع المستمر الذي لم يكن علاجه سوى حقنة من (الفاليوم) كما حدث في رواية(حديث العتمة)، فالسجينة قضت طوال الليل في

(١) خديجة مروازي، مصدر سابق، ص ٢٦-٣١.
(٢) المصدر السابق، ص٣٣.

توجع وتحسر من الألم، فالذهاب إلى الطبيب في الليل ممنوع، والحارسة لا تملك أي وسيلة لإسعاف السجينة؛ لأن تعليمات السجن تفرض عليها ذلك، وعند الصباح أخذت العلاج لكنه ترك آثاره السلبية على جسد السجينة إذ أصبيت بـ " انتفاخ في جميع أطراف جسمي، وخاصة المفاصل، بشكل جعلني عاجزة عن الحركة أو المشي. والغريب في الأمر أنني حرمت من زيارة والدي إذ كان اليوم يوم الزيارة"(١)، فالمكان/ السجن يفتقر إلى الرعاية الصحية الجيدة لساكنيه؛ مما تسبب في ظهور بعض العاهات التي استمرت فترة من الزمن. كما يفتقر إلى المكونات المادية، ففي رواية(كان وأخواتها) انتشر مرض"حمى التيفوييد"(٢) بين سجناء السجن المركزي نتيجة لقل النظافة والأكل الجيد.

كما انتشر التدهور الصحي والنفسي في المكان السجني نتيجة لعنف المكان وسطوته، فأصيبت السجينة في رواية (حديث العتمة) بـ " روماتيزم حاد في العمود الفقري، وعسر في التنفس يكاد يمزق ضلوعي في كل نوبة"(٣)، لتصبح عند مغادرة(الدرب) نحيفة ساحبة، ومحطمة نفسيا، فهي لم تتحمل سطوة المكان/ السجن، فتدهورت حالتها الصحية مما أدى إلى ضرورة زيارة الطبيب التي كان موعدها مقيدًا بوقت معين لا تتجاوزه، فأدت كل تلك العوامل التي يفتقرها المكان/ السجن إلى تفشي هذه الأمراض. بالإضافة إلى أن أنظمة المكان/ السجن تفرض نظامًا معينًا في الأكل، والشرب، والخروج إلى الفسحة... فكان للاستحمام نصيب من هذه الأنظمة،

(١) فاطنة البيه، مصدر سابق، ص٣٩.

(٢) عبد القادر الشاوي، مصدر سابق، ص١٩٩.

(٣) فاطنة البيه، مصدر سابق، ص٣٧.

إذ كان محددًا بوقت معين، وفي فترات متباعدة، مما أدى إلى تفشي " القمل ومرض الحكة"[١] بين السجناء.

وكون السجن فضاءً مأساويًا يفرض على السجين التقييد والعزلة والصمت، فالسجين تقيد حواسه بمجرد اعتقاله، كما يفرض عليه الصمت المطبق والعزلة عن عالمه القديم؛ مما أدى إلى فقدان الحواس الطبيعية للناس، التي يستخدمها في حياته الطبيعية " فقدت من جراء العزلة والصمت التحكم في حواسي. كان علي لكي أسمع جيدًا أن أكون معصوبة العينين، أن أجمد لنظر لكي أسترق السمع... لقد فقدت كل ما يحقق التوازن الجسدي: النظر، اللغة، الحركة... فقد جردت من كل شيء، ومشيت...كان الدم هادئًا، لنقل متجمد في عروقي، فأنا فقدت عادة المشي منذ سبعة شهور ..."[٢]

ولأن المكان السجني من الأمكنة التي تنغلق على ساكنيها بما يحمله من معاني القهر(العزلة، والوحدة، والظلمة)، فيترك أثره الجسدي النفسي في ساكنيه؛ لأنه من الأمكنة التي تقيد حركتهم وحريتهم، فيعيش الساكن المجبر فيه صراعًا بين ثنائية الرفض والقبول؛ لأنه يرفض البقاء في هذا المكان/ السجن، ولكنه مجبر على قبوله ومحاولة التعايش معه، غير أن هذا التعايش يحمل في طياته تغييرًا في السلوكيات والعادات وحتى في القيم، مما يضيق على السجين، ويجعله غير قادر على التكيف مع الحياة داخل هذا المكان، مما ينتج عنها آثار جسدية نفسية تظهر على المدى البعيد، فالكثير منهم يلجأ إلى اختيار الموت بالانتحار، أو محاولة الهروب منه.

---

(١) المصدر السابق، ص١١٥.

(٢) فاطنة البيه، مصدر سابق، ص٢٧.

الخاتمة:

يعد المكان/ السجن من أشد الأمكنة انغلاقية وقسوة التي ينتقل إليها الإنسان مجبرًا، بما يتركه من أثر في شخصياته وانطباعاتهم، وهذا ما يعكسه الجانب السلبي للمكان على المستويين النفسي والجسدي، الّذي تفسره العلاقة التأثيرية بين المكان/ السجن والشخصية السجنية.

فتمثلت الآثار النفسية للمكان/ السجن في صدمة الاعتقال التي تعد بمنزلة نقطة التحول في حياة الشخصية، وفي افتقاد الحرية التي هي من أبرز معاني الفضاء السجني، وافتقاده للخصوصية، إذ يعد من أفقر الأمكنة لمقومات الحياة الطبيعية. وفي الوقت ذاته قد يكون للمكان/ السجن أثره النفسي الإيجابي، فيتخلص قليلًا من سطوته بتخفيف بعض قيوده من خلال المساعدات المقدمة للسجين.

أما الآثار الجسدية، فجاءت بصورة مباشرة تمثلت في ألوان العذاب وصنوفه التي تمارس على جسد السجين من قبل المحقق أو الجلاد، وبصورة غير مباشرة تمثلت في الضغوط والألم والقهر والعزلة، التي تسطو على نفسية الشخصية، مما يجعلها غير قادرة على التكيف مع المكان/ السجن.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: المصادر:

١- خديجة مروازي، سيرة الرماد، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، د.ط- ٢٠٠٠م.

٢- عبد الكريم غلاب، سبعة أبواب، الدار العربية للكتب، طبعة جديدة - ١٩٨٤م.

٣- عبد القادر الشاوي، كان وأخواتها، الفينيك، الدار البيضاء، د.ط-٢٠١٠م.

٤- فاطنة البيه، حديث العتمة، الفينيك، الدار البيضاء – المغرب، د.ت-د.ط.

ثانياً: المراجع:

١- أحمد محمد عطية، الرواية السياسة (دراسة نقدية في الرواية السياسية العربية)، مكتبة مدبولي، القاهرة، د.ط-د.ت.

٢- أحمد الرغبي، أسس علم النفس الجنائي، دار زهران للنشر، ط١ - ٢٠٠١م.

٣- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء – الزمن – الشخصية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، ط٢-٢٠٠٩م.

٤- حمد البليهد، المكان في الرواية السعودية، دار الكفاح، الدمام، د.ط- ١٤٢٨هـ.

٥- حميد لحميداني، الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي، دار الثقافة، الدار البيضاء-المغرب، ط١-١٩٨٥م.

٦- سمر روحي الفيصل، السجن السياسي في الرواية العربية، جروس بـــرو، لبنان، ط٢-١٩٩٤م.

٧- عبد الله عبد العزيز اليوسف، التدابير المجتمعية كبدائل للعقوبات الســـالبة للحرية، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ط١-٢٠٠٣م.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١-	ملخص	٣٠٥٧
٢-	Abstract	٣٠٥٨
٣-	المقدمة	٣٠٥٩
٤-	أثر المكان/ السجن	٣٠٦٣
٥-	أولًا: الأثر النفسي:	٣٠٦٦
٦-	ثانياً: الأثر الجسدي	٣٠٨٤
٧-	الخاتمة:	٣٠٩٤
٨-	قائمة المصادر والمراجع	٣٠٩٥
٩-	فهرس الموضوعات	٣٠٩٧